(43) يرى قزال أن موطن هذه القبائل الجبلية غير بعيد عن أوزيا وعليه تكون هذه القبائل ـ وفق وجهة نظر قزال ـ تقطن في المنطقة الممتدة بين باب الحديد ومضايق الأخضرية، وهي المنطقة التي تستجيب لأوصاف أميانوس. أنظر قزال، ملاحظات جغرافيا... ص 26.

خلافا لكانيا، الذي يرى أن هذه القبائل كانت تقطن جبال الأطلس إلى الجنوب من التيطري.

(44) يقترح كانيا تصحيح أوزيانيس أي حصن أوزيا على أساس أن «ر» «و» تتداخل عادة في المنطق والتعابير الإفريقية. أنظر: كانيا، المرجع السابق، ص 88 رقم 4.

بينما يرى بيربريقر أنها قلعة مازالت آثارها في القرن الماضي قرب عين بسام، ذلك أن أوزيا من وجهة نظره تكون قد تهدمت على أثر ثورة 297م. أنظر: بيربريقر، المرجع السابق ص 225.

(45) قبيلة أولاد عيسى في منطقة التيطري على ما يرى دي لامال، المرجع السابق، ص 64، بينما يرى قزال ضرورة وضعهم كايزافلانس في منطقة أوزيا، قزال، ملاحظات جغرافية، ص 42.

(47) برج مجانة.

(48) Cf. Cagnat (R.), op.cit, p.89

(49) Winkler (A.); op.cit, p.144

(50) Ibid; p.145.

معاهدة زامـا (201 ق.م)

د. تسعديت رمضان

يرى البعض أن معاهدة زاما 201 ق.م كانت وراء المصير الذي آلت إليه قرطاجة سنة 146 ق.م، ولإدراك هذه الحقيقة يجب التطرق إلى:

- الظروف التي انعقدت فيها المعاهدة.
- بنود المعاهدة.
- تحليل بنود المعاهدة مع تبيان كيفية تأثيرها على مصير قرطاجة.

1 ـ ظروف عقد معاهدة زاما سنة 201 قم: معاهدة زاما كانت نتيجة الصراع القرطاجي ـ الروماني الطويل، الذي أذاق فيه حنبعل للرومان الأمرين، ووجه لروما ضربات لم تعرف لها مثيل في حياتها على ما يذكر سالستيوس [1]. فبعد أن كانت روما تخطط لتسمير حنبعل في إسبانيا بعد احتلاله لمدينة صاغنتة سنة 219ق.م، بتوجيه قوات إلى إفريقيا بقيادة تيبريوس سمبرونيس لونجوس (T. Sempromius longus) بينما يقوم بوبليوس كورنيليوس سكيبيو (P. Cornelius Scipio) بمهاجمة آل برقة في إسبانيا [2]، ويمنع بالتالي حنبعل من التحرك لنجدة قرطاجة أو العبور إلى إيطاليا، **إذا افترضنا** أن أعداءه كانوا على علم بنواياه [3].

لكن يبدو أن الرومان لم يقدروا حنبعل حق قدره، وكان قد دبر بدوره وسمّر فعلاً القوات الرومانية بإيطاليا باجتيازه جبال الألب ونقل ميدان الحرب إلى الشبه الجزيرة الايطالية، وكان يكفي انتصاره في معركة تيسينو (Téssin) أمام سكيبيو، لاستدعاء زميل هذا الأخير للإلتحاق به والتخلي بالتالي على مشروع

الحملة على إفريقيا، لكن سميرونيوس انهزم بدوره في معركة تربيه (Trébie)، مما زاد الأخطار التي تواجه روما، خاصة بعد انتصار حنبعل في كانه (Cannae) في الثاني أغسطس 216 ق.ك، التي طوّق فيها القوات الرومانية المقدرة بثمانين ألفا (80.000) من المشاة وستة آلاف (6000) فارس، وأبادها عن آخرها [4]، مما أثار مدن وشعوب وسط وجنوب إيطاليا على روما [5].

كان من الطبيعي أن تلجأ روما بكل الوسائل لدراء هذا الخطر بدءا من اجتناب الإشتباك مع حنبعل في معارك منظمة ومحاولة منع المؤونة والنجدات عنه وصولا إلى فكرة نقل الحرب إلى إفريقيا التي جسدها بوبليوس كورنيليوس سكيبيو الذي استحق بعد ذلك لقب «الإفريقي».

بنقل ميدان الحرب إلى إفريقيا، انقلبت الموازين، في الوقت الذي ظل فيه حنبعل معزولا في البروتيوم جنوب إيطاليا، كان سكيبيو الذي نزل قرب أوتيكا سنة 204 ق.م يتقدم في الأراضي القرطاجية، وهزم في أبريل سنة 203 ق.م الجيش القرطاجي وسيفاكس في السهول الكبرى (Campi-Magni) والقبض على هذا الأخير في جوان من نفس السنة. وبذلك أصبح سيد المناطق الداخلية ويعوق تموين مدينة قرطاجة [6]، مما كان وراء طلب هذه الأخيرة من حنبعل العودة للدفاع عن وطنه، بعد أن شعرت بحاجتها لكل قواها [7].

في إنتظار عودة حنبعل، شرع القرطاجيون في التفاوض مع سكيبيو الذي وجد في ذلك مجدا يجنبه حصارا طويلا وأخطار معركة ضد حنبعل، واشترط على الوفد القرطاجي شروطا قاسية:

1 – إطلاق سراح الأسرى وإعادة جميع الفارين.

2 – إخلاء إيطاليا وغالة والجزر الواقعة بين إيطاليا وإفريقيا، والتنازل عن إسبانيا.

3 – تسليم جميع وحدات أسطولها ماعدا عشرين (20).

4 – دفع غرامة حربية تقدر بـ 5.000 وزنة أوبية من الفضة.

5 – تموين الجيش الروماني حتى اقرار المعاهدة [8].

رغم أن قرطاجة قبلت هذه الشروط التي لا تجعل منها أكثر من قوة إفريقية، ووجهت سفارة إلى روما للمصادقة على المعاهدة، لكن دسائس خصوم سكيبيو في روما عطل المفاوضات، وعودة حنبعل جعلت الغلبة في قرطاجة لدعاة الحرب وكان

الإعتداء على قافلة تموين رومانية سببا في استئناف الحرب [9].

نزل حنبعل بلمطة في صائفة 203 ق.م، ثم توجه إلى حضرموت التي أعدّ بها العدة للمعركة الفاصلة 19 أكتوبر 202 ق.م [10]، حيث انهزم وفقد في المعركة أزيد من عشرين ألف قتيل وعدد مماثل من الأسرى [11]، مما اضطر قرطاجة إلى القبول بشروط المعاهدة التي لا تنهي وجودها كقوة بحرية في البحر المتوسط فحسب، بل حتى كدولة سيدة على أراضيها في إفريقيا ذاتها [12].

2 – بنود معاهدة زاما 201 ق.م:

1 – تحتفظ قرطاجة باستقلالها وممتلكاتها في إفريقيا.

2 – تسليم كافة الفارين والأسرى.

(3) أن تسلم ما تملكه من سفن، باستثناء عشر سفن ثلاثية، وتسلم كافة أفيالها مع التحجير عليها ترويض أفيال أخرى في المستقبل.

4 – ألا تثير حربا خارج إفريقيا أو داخلها دون إذن من روما.

5 – أن تعيد لمسينيسا كل ممتلكاته وممتلكات أسلافه.

6 – أن تمد قرطاجة جيش روما بالمؤون والأجور حتى تتم المصادقة على المعاهدة.

7 – تدفع غرامة حربية تبلغ عشرة آلاف (10.000) وزنة أوبية من الفضة، تدفع أقساطا موزعة على خمسين سنة (أي 200 وزنة أوبية في كل عام).

8 – تسلم مائة (100) رهينة، يختارها القائد من البالغين ما بين 14 – 30 سنة كضمان لتنفيذ بنود المعاهدة [13].

3 – تحليل بنود المعاهدة: رغم بعض الاختلاف الظاهري (الشكلي) الذي يبدو على بنود المعاهدة بمقارنة نص بوليبيوس مع نص تيتوس ليفيوس، لكن النصين يتفقان في الجوهر ما عدا بعض التفاصيل، والديباجة الطويلة نسبيا في نص بوليبيوس.

وإذا حاولنا إلقاء نظرة فاحصة على بنود المعاهدة عموما يمكننا تقسيمها إلى صنفين من البنود بعد البند الأول الذي يمكننا إعتباره بمثابة ديباجة تنص على احتفاظ قرطاجة باستقلالها وبممتلكاتها في إفريقيا نجد:

أ ـ الصنف الأول: هي البنود التي ترمي إلى أضعاف قرطاجة والحد من قوتها وأذلالها على المدين القريب والمتوسط وهي بنود: 2، 3، 6، 7، 8.

ب ـ الصنف الثاني: هما البندان 4، 5. فإذا كان البند الرابع يحد صراحة من استقلال قرطاجة في اتخاذ القرارات الحاسمة، وينص بشكل جلي على تدخل روما في سياستها وبذلك تنتهي قرطاجة كقوة كبرى في البحر المتوسط، وتتحول من الآن فصاعدا إلى مدينة تابعة لروما، احتفظت بأراضيها في إفريقيا، لكنها ليست سيدة سياستها الخارجية، وبذلك تفقد حق المبادرة التي لا تسمح لها بالعودة بقوة إلى مسرح الأحداث مثلما حدث بعد الحرب البونية الأولى (264 ـ 241 ق.م)، لكنها احتفظت آنذاك بإسبانيا ومناجم الفضة التي ستسمح لها ببناء اقتصادها بسرعة، وتعود كقوة بعد أقل من عقدين من الزمن، فإن معاهدة زاما جاءت بعد فقدان قرطاجة لكل نفوذها ومصالحها خارج إفريقيا، وأثارت هذه المعاهدة ضدها منافسا حتى في إفريقيا ذاتها. وهو ما ينص عليه البند الخامس: «أن يعيد القرطاجيون إلى ماسينيسا كل ما كان يملكه هو وأسلافه من أراضي ومدن [14]... الخ» وكان مماسينيسا وفق تعبير جوليان [15] أمهر من يهمل استغلال هذه الفرصة، وبما أنه يمكن له المطالبة بما قد ملكه أسلافه من تراب قرطاجة، فقد كانت ذاكرته وفق تعبير نفس المؤرخ تكتشف له حقوقا قد جهلها هؤلاء الأسلاف [16].

لم يكتف ماسينيسا باسترجاع مملكة الماسيل إلى الغرب من الأراضي القرطاجية لكنه عمل بعد ذلك على استرداد وتوحيد كامل الأراضي النوميدية قبل الشروع منذ سنة 193ق.م في التوسع على حساب الأراضي القرطاجية، إذ استغل فرار المتمرد «افتير» إلى طرابلس ليطلب من القرطاجيين السماح له بملاحقته عبر أراضيها. وكان رفض قرطاجة وراء احتلال الملك لجزء من إقليم امبوريا وفرض الضرائب على سكان المنطقة [17].

ـ في سنة 182 ق.م يقوم ماسينيسا بمحاولة أخرى لاسترجاع أراضي كان والده قد انتزعها من القرطاجيين وأعادها لهم سيفاكس.

ـ في سنة 174 ـ 172 ق.م استغل ماسينيسا ظروف الاستعداد للحرب المقدونية الثالثة (171 ـ 168 ق.م) في افتكاك من القرطاجيين حوالي سبعين مدينة وقلعة [19].

ـ في سنة 162 ق.م استغل ماسينيسا المساعدات التي قدّمها للرومان في الحرب المقدونية الثالثة، وكشفه لمفاوضات سرية بين قرطاجة والملك بيرسية (Persée) في إكمال سيطرته على إقليم امبوريا [20].

ـ في سنة 153 ق.م، أتى دور السهول الكبرى (Campi magni) التي كانت خيرتها تغري الملك منذ مدة، مستغلا في ذلك انشغال روما في حروبها الإسبانية، وكان احتجاج قرطاجة هذه المرّة شديدا مما تسبب في قدوم وفد من مجلس الشيوخ الروماني للنظر في القضية برئاسة «كاتون» الذي رفع لاحقا شعار تهديم قرطاجة (Delenda est carthago)

وكانت الأحداث الجارية التي توالت بعد سنة 150 ق.م على أثر انتصار ماسينيسا على مرأي سكيبيو وراء التدخل الروماني في الأحداث الجارية في المنطقة، بدعوى خرق قرطاجة لبند من بنود معاهدة زاما التي تحظر عليها إعلان الحرب في إفريقيا أو خارجها إلاّ بإذن من روما [21]. وهكذا كان التدخل الروماني سنة 149ق.م وراء المصير الذي آلت إليه قرطاجة سنة 146ق.م.

الهوامش :

(1) سالوستيوس، حرب يوغرطة، 5

(2) Polybius, III, 4, 61; Titus Livius, XXI, 171; Zonaras, VIII, 22.

(3) وفقا لبوليبيوس (III ، 40) كان الرومان على عدم علم بعبور حنبعل نهر الابرو عندما قرروا إرسال قوات إلى إسبانيا.

(4) حول هذه المعركة وخسائر الطرف الروماني فيها أنظر محمد الهادي خارش، حملة حنبعل على إيطاليا، مجلة الدراسات التاريخية العدد 6.

(5) نفسه.

(6) Combet Farnoux (B.) Les guerres puniques ed. PUF (Coll. que sais-je), (paris 1960) p.99

(7) محمد الهادي حارش، نفس المرجع السابق.

(8) Combet Farnoux (B.); op.cit, pp.99-100.

(9) Decret (F.) Carthage ou l'empire de la mer, ed. seuil (coll. le point) (paris 1977)), p.215.

(10) Winkler (A.); Bataille de Zama (19 oct. 202 av.JC.), in B.S.G.O., t.16 (janv. mars 1894), pp. 17-46.

(11) Polybius, XV, 14; Appien, VIII, 48 25.000 tués et 8,500 prisonniers.

(12) Combet Farnoux (B.à; op.cit; p. 101.

(13) حول بنود هذه المعاهدة أنظر، بوليبيوس XV 18، تيتوس ليفيوس، XXX ، 37، 2، 6.

(14) اعتمادا على صياغة بوليبيوس.

(15) جوليان (شارل أندري)، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م (جزءان)، تعريب محمد مزالي ـ البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر. (تونس 1969)، جـ 1، ص 140.

(16) نفسه.

(17) Saumagne (CR); Pretextes juridiques de la 3eme guerre punique, Revue historique, t. 167, (1931), p.238.

(18) Ibid; p. 241.

(19) جوليان (شارل أندري)، المرجع السابق، ص 140.

(20) تيتوس ليفيوس، X L III، 3.

(21) للمزيد من التفاصيل، أنظر حارش محمد الهادي، التطور السياسي والإقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203. 46 ق.م) رسالة ماجستير، (جامعة الجزائر 1985، ص 21 ـ 26)

ثانيا :

التاريخ الوسيط